مقدمة

العصر الذي نعيشه اليوم هو عصر الاتصال ،فيه قربت المسافات و تلاشت الحدود وبات العالم أشبه بقرية صغيرة على حد تعبير المفكر الكندي **مارشال ماكلوهان**،إذ أصبح الفرد في أقصى الشرق بإمكانهأن يطلع على ما يحدث في أقصى الغرب ،وكل هذا بفضل تطور وسائل الاتصال وانتشارها.

ويمثل الاتصال لب العلاقات الاجتماعية, وبقدر نجاح الفرد في الاتصال مع الآخرين بقدر نجاحه في الحياة،حيث ينعكس ذلك على جميع جوانب حياته الاجتماعية...وبقدر نجاح الأمم في تواصلها مع ماضيها بتراثه وثقافته وفي الاتصال مع الأممالأخربقدر نجاحها في البقاء والاستمرارية والتطور.

لذلك فإنه ليس من المغالاة في شيء القول بأن عصرنا الحالي هو عصر الاتصالات بامتياز،إذ من الصعب تصور مجتمع ماأو فعالية اجتماعية أو فرد أو تنظيم اجتماعي دون وجود علاقات اتصالية بين أعضائه،وأيضا يصعب نمو قيم ومعايير ثقافية وحضارية دون وجود صلات بين الأفراد وبين مختلف المؤسسات داخل المجتمع وبين الأمم أيضا.

لماذا نتصل؟

سؤال لطالما تبادر إلى أذهاننا محاولين في الوقت ذاته إيجاد إجابة محددة له, وفي الواقع أن هذا السؤال وعلى الرغم من بساطة دلالته اللفظيةإلاأن الإجابات عليه متعددة ومختلفة تبعا للطروحات التي يقدمها بشأنه الأفراد في محاولة منهم للإجابة عليه،ويمكن أن نلخص كل تلك الإجابات في فكرة أساس مفادها:**أننا نتصل لكي نؤثر ونؤثر لتحقيق هدف.**

ولقد نال موضوع الاتصال اهتماما واسعا ومتزايدا من قبل الباحثين في ميدان العلوم الإنسانية.إلاأن هذا الاهتمام يعكس, وهذا بحسب رأي الدكتور **محمود عودة** في مؤلفه الموسوم ب **(أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي)**أمامنا ملاحظتينجديرتين بالاهتمام تتمثل **أولاهما:** في سيطرة التحليلات القطرية وطغيانها على أشكال التقويم الامبريقي،وقد ترتب على ذلك أن أصبح هذا المجال أو الميدان قبلة لكثير من التخمينات التي تبالغ في أثار الاتصالات الجماهيرية بالذات من ناحية أو تقلل من أهمية هذه الآثار من ناحية أخرى.

أما الملاحظة **الثانية** فتتمثل في أن مجال الاتصالبوصفه ميدانا للدراسة العلمية ليس مجالا مستقلا بذاته وإنما هو نقطة التقاء يفد إليها باحثون من تخصصات متعددة واهتمامات متباينة مدفوعينبأهدافخاصة،مرتبطةإلى حد كبير بالمجال الأصيل لاهتمامهم،الذي قد يكون مجال علم النفس أو علم الاجتماع أو حتى علم السياسة...

ولذلك يؤكد العديد من المفكرين والباحثين ومن بينهم **ميشال وأرمانماتلار** في كتاب: **تاريخ نظريات الاتصال,** على أن الاتصال يعتبر من العلوم القليلة التي تتكثف وتتقاطع فيها مجموعة من العلوم،إذ يعتبر علما ملتقى لكثير من التخصصات العلمية،فقد أثارت سيرورات الاتصال اهتمام الكثير من العلوم المتنوعةبدءا بالفلسفة والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس والسوسبولوجياوالاثنولوجياوالاقتصاد،مرورا بالعلوم السياسية وعلم الأحياء وصولا الى السيبرنطيقا(علم التحكم الآلي) والعلوم الإدراكية ،وقد شكل هذا الحضور للتخصصات الأخرى داخل الاتصال وهو يؤسس لحقله المعرفي الخاص داخل فضاء العلوم الاجتماعية احد مداخل الأساسية للتساؤل عن شرعيته العلمية كعلم قائم بذاته ،وهو ما يجعله يبحث عن نماذج تضفي عليه الطابع العلمي حيث تبنى رؤى علوم الطبيعة وقام بتكييفها مع خصوصيته الأكاديمية.

وجدير بالذكر أن درجة الاهتمام بموضوع الاتصال تتفاوت فيما بين العلوم السالفة الذكر،فبينما نجد في نطاق علم السياسة اهتماما ضخما بموضوع الاتصال هذا, نلاحظ أن درجة الاهتمام به محدودة النطاق في تخصصات أخرى.

وعلى المستوى الميداني العملي يوضح لنا تحليل التراث العلمي المتطور لوسائل الاتصال الجماهيري عن وجود عدد من العلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة هذه الظاهرة،وتسعى لتحديد ماهيتها ودراسة أساليب وطرق جمع البيانات والمناهج والنظريات التي تقوم بتوجيهها سواء على المستويين النظري آو الميداني(الامبريقي), ومن ثم نجد بأن هناك العديد من المحاولات الاجتماعية التي تقوم بعملية تصنيف التراث النظري لوسائل الاتصال والإعلام ولاسيما ما يعرف بنماذج الاتصال

ولقد بدأت عملية الاتصال باستخدام الإشارات ودق الطبول والنيران والرقص كلغة مشتركة للتفاهم بين الناس ثم تطورت العملية الاتصالية لتستخدم الكلمة المنطوقة فالمكتوبة, ثم تطورت أكثر فأكثر لتصل الى استخدام الوسائل السلكية واللاسلكية ومن ثم الوسائل التكنولوجية الأكثر تعقيداوهي وسائل الاتصال الجماهيري.

وقدلخص الكاتبان **ميلفينديلفر وساندرا بال روكيتش** في كتابهما الموسوم ب **:نظرياتوسائل الإعلام** والذي ترجمه الى العربية **د كمال عبد الرؤوف**مراحل تطور وسائل الاتصالوالإعلام عندما كتبا قائلين **:عندما نقرأ الصحيفة آو نستمع الى الراديو أو نذهب الى السينما أو نشاهد التلفزيون فإننا نستمتع بما بذله الإنسان عبر ألاف السنين, وملايين المحاولات التي بذلها العلماء على مر العصور لكي يتصل الإنسانبأخيهاالإنسان, وما نستمتع به الان من وسائل الإعلام الحديثة يمثل تطورا هائلا وغير عادي في وسائل الاتصال التي بدأت بفن الإشارة والدق على الطبول وإشعال الدخان, وظلت تتطور حتى وصلت أخيرا الى الفيديو وتلفزيون الكابل عن طريق الأقمار الصناعية.**

- كيف حدث هذا التطور في وسائل الاتصال والإعلام يا ترى؟

هو ما حاول **ديفلر**وثلة من المفكرين, مثل**:مارشال ماكلوهان. دانييل بل, انتوني سميث, الفين توفلر,حمدي قنديل** واخرون) شرحه وتفسيره ،وان اختلفوا في المراحل التطورية لهذه الوسائل بين ثلاث مراحل الى أربعة الى ستة مراحل ولكن بالإجماع يمكن القول بان وسائل الاتصال عرفت خمس ثورات تمثلت **الثورة الأولى** في **اللغة** ثم**ثورةالكتابة** ثم **ثورة الطباعة** ثم**ثورةالاتصالات السلكية واللاسلكية** وأخيرا**التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال.**

إن تطور مفهوم الاتصال وتزايد أهميته من جهة, وانتشار وسائله وتعددها من جهة أخرى نال قسطا كبيرا من اهتمام الباحثين في شتى المجالات والتخصصات خاصة مع مطلع القرن **20**في خطوة بارزة لظهور حقل جديد في العلوم الإنسانية يعرف **بعلوم الإعلاموالاتصال**،علم له موضوعاته،مناهجه،نظرياتهومجالاته البحثية،وقد أرسى مجموعة من الباحثين أمثال : **هارولد دوايت لاسويل،بول فيليكسلازرسفيلد،كارل هوفلاند،كورت لوين،روبرت كينغ ميرتون** بدراساتهم وأبحاثهمالمجالات البحثية الأولى لهذا العلم لتتسع هذه المجالات خاصة مع خمسينيات القرن العشرين بظهور وسيلة التلفزيون واستخدامها في مجال التنمية وكذا ظهور وسيلة الانترنت،وكل هذا انطلاقا من الخماسية التي طرحها في نهاية الأربعينيات **(1948)** الباحث **هارولد دوايت لاسويل** والمتمثلة في **:من؟ يقول ماذا؟لمن ؟بأي وسيلة؟ بأيأثر؟** والتي تم ترجمتها الى أقسام بحثية زودت السوسيولوجيا الوظيفية لوسائل الإعلامبإطار مفاهيمي, بعد أن ظلت لسنوات عديدة لا تتجاوز مجموعة من دراسات الحالة, تمثلت هذه الأقسام البحثية في الفروع التالية **:تحليل التحكموالرقابة ،تحليل المحتوى،تحليل وسائل الإعلامآو العوامل,دراسات الجمهور ،دراساتالتأثيرات.**